مـــــــــركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

إرهاب الطائرات المسيّرة.. أميركا تتجرع سمّها

الكاتب: نيك تورس

المصدر: موقع "ذا إنترسبت" الأميركي 18 كانون الأول 2024

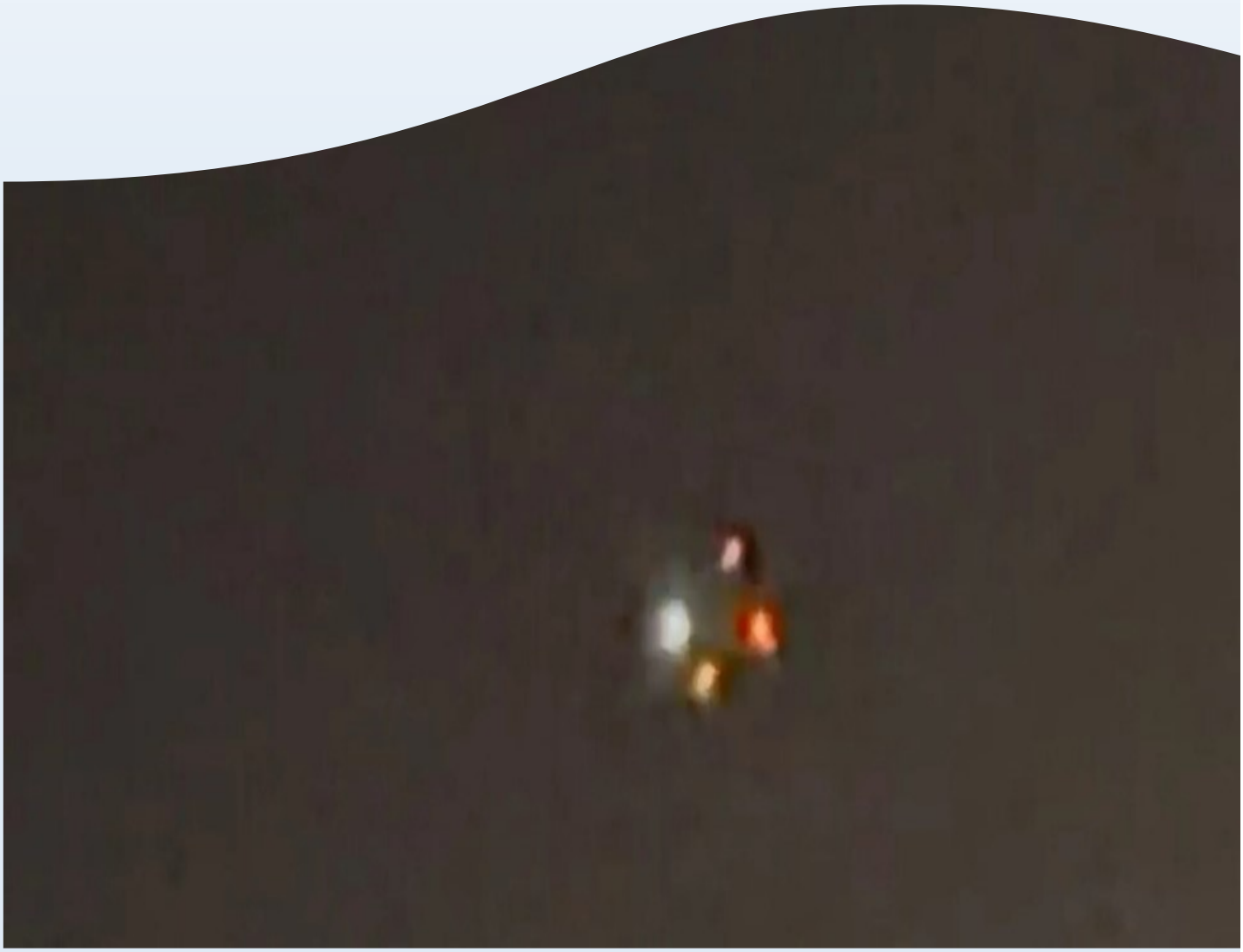

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

إرهاب الطائرات المسيّرة.. أميركا تتجرع سمّها

الكاتب: نيك تورس

المصدر: موقع "ذا إنترسبت" الأميركي 18 كانون الأول 2024[1]

لأكثر من عقدين من الزمن، حلّقت الولايات المتحدة بطائرات من دون طيّار فوق رؤوس ملايين الأشخاص، تراقبهم وتسجيلهم، وحتى تقتل بعضهم.

يشعر المسؤولون الأمريكيون بالقلق إزاء الطائرات من دون طيّار الغامضة المزعومة التي تحلّق فوق الولايات المتحدة. في الأسبوع الماضي، أرسل حاكم ولاية نيوجيرسي، فيل مورفي، رسالة إلى الرئيس جو بايدن، معربًا فيها عن 'قلقه المتزايد' بشأن هذه الطائرات وطلب المساعدة الفيدرالية "لفهم ما وراء هذا النشاط بشكل كامل".

وكان ثلاثة أعضاء في الكونغرس، هم كوري بوكر وآندي كيم وتشاك شومر، أرسلوا خطاباً إلى وزير الأمن الداخلي أليخاندرو مايوركاس، ومدير مكتب التحقيقات الفيدرالي كريستوفر راي، ورئيس إدارة الطيران الاتّحادي مايكل ويتيكر، يطلبون إحاطة بشأن الطائرات من دون طيّار المزعومة.

في السياق ذاته، رأى النائب جيف فان درو، جمهوري من نيوجيرسي، أن الأجسام الطائرة المجهولة قد تنحدر من سفينة إيرانية من دون طيّار تعمل قبالة الساحل الشرقي. وقال: "سواء كان هذا خصماً أجنبياً أو حتى مجرد مجموعة من هواة الطائرات من دون طيّار، لا يمكننا السماح للطائرات المجهولة بالعمل بحرية في مجالنا الجوي دون أي عواقب. لقد حان الوقت للقضاء على التهديد الذي تشكله وإسقاطها".

بعد أن بدأت في نيوجيرسي، انتشرت هستيريا الطائرات من دون طيّار كالنار في الهشيم، مع ظهور مشاهد من ماساتشوستس إلى كاليفورنيا. هذا الأمر أثار احتجاجات واسعة وأدى إلى إغلاق مؤقت لمطار في ولاية نيويورك، وكذلك المجال الجوي لقاعدة رايت باترسون الجوية في أوهايو.

ويتزايد قلق المشرّعين في الكونغرس على نطاق واسع، بشأن العيش تحت طائرات من دون طيّار غامضة وخبيثة. وهذا أمر مذهل، بالنظر إلى ميل أمريكا لاستخدام طائرات من دون طيّار للتجسس على الناس في جميع أنحاء العالم دون موافقتهم ، وفي كثير من الحالات قتلهم. هذه المفارقة لا تفوت على الخبراء.

[1] America Gets a Taste of Its Own Medicine: Drone Terror. https://theintercept.com/2024/12/18/drones-new-jersey-sighting/

وقال إريك سبيرلينغ من منظمة "Just Foreign Policy"، وهي مجموعة مناصرة تنتقد السياسة الخارجية السائدة في واشنطن إنه "بعد عقود من قيام الحكومة الأمريكية بتسيير طائرات عسكرية مسلحة من دون طيّار فوق المدن والقرى في جميع أنحاء العالم، بدأ الأمريكيون أخيراً يدركون مدى عدم الارتياح لوجود طائرات مجهولة فوق رؤوسهم. حتى حين لا تقتل الطائرات من دون طيّار أشخاصاً، لا ينبغي أن يكون من الصعب تخيّل أن وجود طائرة غير معروفة تحوم فوق رأسك ليس شيئاً يشعر معظم الناس بالراحة معه".

وأضاف: "لا يعرف السياسيون الأمريكيون كيف يسيرون مسافة ميل في حذاء شخص آخر. نأمل أن تساعدهم هذه الحوادث على إدراك أن مراقبة الناس بهذه الطريقة في البلدان الأخرى لن تكسب القلوب والعقول".

لا يوجد تفسير

لأكثر من عقدين والولايات المتّحدة تحلّق بطائرات من دون طيار فوق رؤوس ملايين البشر في أراضٍ أجنبية، وتراقبهم عن بعد وتسجّل تحرّكاتهم واتّصالاتهم، وتقوم بغارات قاتلة. ومنذ أولى الضربات الأميركية بالطائرات المسيّرة في أفغانستان عام 2001 واليمن في عام 2002، تمّ قتل آلاف البشر من المدنيين حول العالم من ضمنهم ليبيون وباكستانيون وصوماليون وغيرهم.

في العام الماضي، توصل تحقيق أجراه موقع "The Intercept" إلى أنّ هجوماً بطائرة أميركية مسيّرة في الصومال في العام 2018 أسفر عن مقتل 3 مدنيين على الأقلّ وربّما 5، بينهم لول ظاهر محمّد (22 عاماً)، وابنتها مريم بعمر 4 سنوات. ولأكثر من 6 سنوات، حاولت الأسرة الاتّصال بالحكومة الأميركية، بما في ذلك من خلال "بوّابة الإبلاغ" عن الضحايا المدنيين عبر الإنترنت التي تديرها القيادة الأميركية في أفريقيا، لكنّها لم تتلقّ أيّ ردّ. وقال أحد أشقّاء لول في العام الماضي: "لقد علموا أنّ أشخاصاً أبرياء قد قتلوا، ولكنّهم لم يخبرونا أبداً بالسبب، أو يعتذروا ولم يُحاسب أحد".

أصيبت أسرة لول بأكملها بصدمة نفسية. وعندما رأى ابن شقيق لول طائرة عاديّة تحلّق فوق مزرعتهم، بدأ يركض محاولاً الاختباء، مقتنعاً أنّها قد تقتله. وأخبرت الأسرة ابن لول محمّد، الحقيقة بشأن وفاة والدته، ومنذ ذلك الحين حين يرى أو يسمع طنين طائرة مسيّرة، "يهرع للاختباء تحت شجرة".

لأكثر من عقديّن من الزمن، عاش الناس في جميع أنحاء العالم مع مخاوف ناجمة عن الطائرات من دون طيّار وصمت مدوٍ من المسؤولين الأمريكيين. قبل طرد الجيش الأمريكي من النيجر على يد المجلس العسكري الحاكم الذي درّبته الولايات المتحدة في وقت سابق من هذا العام، استضافت البلاد قواعد للطائرات الأمريكية من دون طيّار، كان هدفها غامضاً وظل سرياً عن النيجيريين الذين عاشوا تحت مراقبة عيون أمريكا في السماء.

بِالقرب من القاعدة العسكرية الأميركية في بلدة أغاديز الشمالية في النيجر، أعرب السكّان عن مخاوفهم عند الحديث عن الطائرات من دون طيّار. واشتكّت النسوة في المنطقة اللّاتي تحدّثن بشرط عدم الكشف عن أسمائهنّ خوفاً من الانتقام، من الضوضاء والأبخرة المقبلة من القاعدة الأميركية، وقلقهنّ من ضجيج الطائرات الصغيرة التي تحلّق في منتصف الليل.

"نحن خائفون"، قالت إحداهنّ مرتدية حجابها الوردي، وأضافت: "أعيش في المنطقة منذ ما قبل بناء القاعدة الأميركية التي لا أحد يعرف ماذا يفعلون داخلها، فقط نرى الأضواء الحمراء والزرقاء تومض فوقنا، لا نعرف إلى ماذا ينظرون".

ردود الفعل لها ما يبررها. في الصومال، تواصل الولايات المتحدة القيام بمهام المراقبة وشنّ غارات جوية مميتة، مما يزيد من مشاعر القلق والخوف بين السكان المحليين، الذين يعيشون تحت تهديد مستمر من الطائرات من دون طيّار.

في النيجر، لم تقتصر مهام الطائرات من دون طيّار على البحث عن المسلحين في المناطق الريفية والبلدان المجاورة، بل وفرت أيضاً مراقبة لموقع أغاديز الأمامي وللقوات القادمة والذاهبة من القاعدة في تادرس، مما وضع المدنيين هناك تحت أنظارها.

كذلك، أعربت ماريا لامينو غاربا، مديرة مجموعة لإعادة التدوير في تادريس في النيجر، التي تعمل مع الشباب العاطلين عن العمل لجمع المواد القابلة لإعادة التدوير، عن مخاوف مماثلة بشأن العيش تحت المجهر الأميركي. قالت العام الماضي: "إنّهم يُحلّقون فوق رؤوسنا دائماً وغالباً في الليل، أو في الصباح الباكر. إنّه أمر مخيف. نعتقد أنّهم يراقبوننا".

الجميع في القرية

إنّ الأميركيين مثل فان درو، الذي أطلق شائعة أنّ الطائرات المسيّرة تنطلق من سفينة إيرانية، ثمّ تراجع عنها، يتذوّقون الآن ما هم يمارسونه في مختلف أنحاء العالم، من ضمنهم أسرة لول وابنتها مريم، وأنّ احتمالات العيش تحت طائرات من دون طيار تابعة لدولة أخرى وخاصّة القاتلة منها أمر مروّع.

وأفادت دراسة أجريت في سبتمبر 2012 عن المدنيين في باكستان من قبل العيادة الدولية لحقوق الإنسان وحل النزاعات بجامعة ستانفورد للقانون وعيادة العدالة العالمية في كلية الحقوق بجامعة نيويورك، أن "سياسات ضربات الطائرات من دون طيّار الأمريكية تسبب ضرراً كبيراً وغير ملحوظ للحياة اليومية للمدنيين العاديين، بما يتجاوز الموت والإصابات الجسدية".

وجد الباحثون أن الوجود المستمر للطائرات من دون طيّار، والخوف من حدوث ضربة في أي وقت، وعدم قدرة الناس على حماية أنفسهم، "أرهب الرجال والنساء والأطفال، مما يثير القلق والصدمة النفسية بين المجتمعات المدنية".

في اليمن شنّت الولايات المتّحدة بين أعوام 2013 و2018، 6 غارات بطائرات من دون طيار، وفي إحداها أسفر الهجوم عن مقتل 36 فرداً من عائلتيّن يمنيتيّن متصاهرتيّن، ولم ينجُ الأحياء من تداعيات الهجوم النفسية وخاصّة الأطفال.

تحدث إليّ أحد أفراد العائلة اليمنية، عبد الله عبد ربه عباد التعيسي، عن التداعيات النفسية بين الناجين، وخاصة الأطفال. قال لي: "تأثرت القرية بأكملها، ويعاني الجميع من صعوبات في النوم بسبب الخوف المستمر، ولا يستطيعون تناول الطعام بشكل طبيعي. الأطفال أيضاً يشعرون بالخوف من الخروج واللعب. بعضهم يعاني من مشاكل نفسية نتيجة لهذا القلق المستمر".

أظهرت دراسة أجرتها مؤسّسَة الكرامة لحقوق الإنسان في عام 2015، أن اضطراب ما بعد الصدمة كان "منتشراً بشكل كبير" بين اليمنيين المقيمين في قريتيّن متجاورتيّن تعمل في أجوائهما الطائرات المسيّرة الأميركية.

يعاني العديد من الأفراد من قلق مستمر واضطرابات في النوم، بما في ذلك الكوابيس والأرق. وأفاد 96% من الأطفال الذين تمت مقابلتهم بأنهم يخشون أن تتسبّب هجمة بطائرة من دون طيار في أذيتهم أو إلحاق الضرر بأسرهم أو مجتمعهم. كما أشارت الدراسة إلى أن "الشعور بالخوف" يتفاقم بين الأطفال عند سماع أصوات تشبه أزيز الطائرات من دون طيار.

لا يقتصر الخوف والقلق الناجم عن "الضجيج" المُميّز لمحركات الطائرات من دون طيار على الأطفال فقط. كتب ديفيد رود، الصحفي الذي اختطفته طالبان الأفغانية في عام 2008 واحتجزته في المناطق القبلية في باكستان: "كانت الطائرات من دون طيار مرعبة للذين هم تحتها، ومن المستحيل تحديد من أو ماذا يتتبعونه أثناء دورانهم في سماء المنطقة. إن ضجيج المروحة البعيدة هو تذكير دائم بالموت الوشيك".

ووفقاً لدراسة نُشرت عام 2017 في مجلة "علم النفس المعاصر"، يبدو أن الخوف الذي يشعر به المدنيون يشلّ حياتهم اليومية، بما في ذلك مغادرة منازلهم، الذهاب إلى العمل، حضور المناسبات الاجتماعية، وإرسال الأطفال إلى المدرسة. وأفاد السكان الذين يتعرضون بشكل مستمر لنشاط الطائرات من دون طيار بظهور "ردود فعل مبالغ فيها، مثل الفزع، والفرار إلى الداخل، والاختباء عند رؤية أو سماع الطائرات". كما أبلغوا عن حالات إغماء، وضعف في الشهية، وأعراض نفسية وجسدية، بالإضافة إلى الأرق والاستيقاظ المفاجئ في الليل مصحوباً بهلوسات تتعلق بالطائرات من دون طيار.

تُظهر الخسائر النفسية حتى عندما يكون التهديد المُتصور مجرد مراقبة جوية من الأعلى. يقول المحلّل السياسي البارز في الاتّحاد الأميركي للحرّيات المدنية جاي ستانلي إنّ "هناك سبباً يجعلنا نعتبر الخصوصية حقاً من حقوق الإنسان، فلا أحد يريد أن يشعر وكأنّهُ يعيش تحت عين ساورون"، باستعارة من الفيلم السينمائي "سيّد الخواتم"، حيث عين ساورون في الفضاء تراقب

حياة الجميع. ويضيف ستانلي: "هذا شيء لا ينبغي للولايات المتّحدة أن تفرضه على الناس في الخارج، ولا ينبغي للأميركيين التسامح معه في مجتمعاتهم".

الحقيقة كواقع مطلق

يعتقد ستانلي أن هناك احتمالاً كبيراً بأن العديد من "الطائرات بدون طيار" التي شوهدت فوق نيوجيرسي هي في الواقع طائرات تقليدية، وربما بعض النماذج التجريبية. ومع ذلك، فإن حالة الذعر المحيطة بهذه المشاهدات تكشف عن أمر أساسي يتعلق بمخاوف الأمريكيين.

وقال ستانلي: "من واقع خبرتي في العمل على قضايا الخصوصية، بدءاً من تتبع الإنترنت وصولاً إلى التنقيب عن البيانات، أجد أن المراقبة الجوية تحمل تأثيراً خاصاً على الناس. لأنّ قيام جهة ما بتتبّع معاملاتي المالية وبناء ملفّ شخصي عنّي أمر تجريدي إلى حدّ كبير، ومختلف عن وجود كاميرا فيديو آليّة تحوم فوق الرؤوس وهو أمر ملموس للغاية، وهذا ما يثير الذعر".

في غضون ذلك، لن يحصل أشخاص مثل عائلة لول ومريم في الصومال، أو غاربا، من الحصول على ضمانات معقولة من السلطات بأنهم آمنون تماماً من الأجسام الطائرة المجهولة، مثل تلك التي حصل عليها الأميركيون.

في الأسبوع الماضي، رفض مستشار الأمن القومي جون كيربي المخاوف بشأن مشاهدات الطائرات المسيّرة فوق بعض المدن الأميركية. وقال: "ليس لدينا دليل في الوقت الحالي على أن مشاهدات الطائرات بدون طيار المُبلّغ عنها تشكل تهديداً للأمن القومي أو السلامة العامة، أو أن لها أي علاقة بجهة خارجية".

وأفاد مسؤول في مكتب التحقيقات الفيدرالي أن المحققين الحكوميين قاموا بتحليل مواقع مشاهدات الطائرات بدون طيار المُبلّغ عنها، ووجدوا أن "كثافة المشاهدات المُبلّغ عنها تتطابق مع نمط الاقتراب" في أكثر مطارات نيويورك ونيوجيرسي ازدحاماً، حيث تلقى مكتب التحقيقات الفيدرالي 5000 بلاغاً يتعلق بالطائرات بدون طيار، لكن أقل من 100 منها أسفرت عن خيوط مشروعة، وفقاً لبيان مشترك صدر عن وزارة الأمن الداخلي، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، وإدارة الطيران الفيدرالية، والبنتاغون.

ورفض مكتب السيناتور آندي كيم، وهو عضو مؤسس في تجمع حماية المدنيين في النزاعات، الانخراط في التمييز بين سياسة الطائرات من دون طيار الأمريكية في الخارج والهستيريا المتعلقة بها التي أظهرها المسؤولون في الولايات المتحدة. وقالت آنا كونول، السكرتيرة الصحفية لكيم، لصحيفة The Intercept "لن نعلق على هذه الاحداث في هذا الوقت".

إنه مناخ مزعج للغاية للعيش فيه عندما تتواجد طائرة من دون طيار غير معروفة وغير خاضعة للمساءلة تُحلِّق فوق رؤوسنا. يجب على أعضاء الكونغرس أن يفهموا أن مراقبة الأشخاص بواسطة طائرات من دون طيار ليست حالة طبيعية لأولئك الذين يعيشون تحتها.

ينبغي عليهم أخذ هذا الإدراك بعين الاعتبار عند صياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

***